شميط بن عجلان

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[7]

شميط بن عجلان

شميط بن عجلان

كنيته:

يكنى: أبا عبيد الله.

وقيل:

أبو عبد الله.

وقيل:

أبو همام.

وصف أهل الدنيا:

قال شميط بن عجلان:

حيارى سكارى فارسهم يركض ركضًا، وبيدقهم يسعى سعيًا، عشقوا الدنيا ولزمت بأم رءوسهم يرتضعونها لا ينفطمون من رضاعها، وإذا أحدث الله تعالى لأحدهم نعمة أحدث رياء وسمعة، فعلق من بين أصفر وأحمر وأخضر.

ثم قال للناس:

- تعالوا وانظروا.

فأما المؤمن من يقول:

- لا حسن والله ولا جميل، إن يكن من حلال فقد أسرفت، وإن يكن من حرام فثكلتك أمك.

وأمَّا المنافقون فيقولون:

- يا ويحنا! يا ليت لنا ما أكثر وأطيب.

ذروهم عباد الله وما اختاروا لأنفسهم من فالوذجهم - الفالوذج: نوع من الحلوى - ورودجهم.

فكل يومًا بقلاً ويومًا خلا ⁝ ويومًا ملحًا والموعد الله

يطلبون لأولادهم السمن والعسل، ثم يخرجونهم على أيتام المساكين، فيذهب الصبي إلى أمه فيجاذبها خمارها فيقول:

- اطلبي لنا سمنًا وعسلاً، فإني رأيت مع ابن فلان سمنًا وعسلاً.

فتقول له أمه:

- إنه كثير لك من حيث أصبت لك الخبز والملح.

يشترى أحدهم الأمة العجماء من دار المشركين إلى دار المسلمين، فلا يفقهها في الدين ولا يعلمها شيئًا من سنن المرسلين، فتلبس الوشى وتحلى بالذهب، ثم تخطر على فساق أهل الأسواق، فإن جنت جناية تبعه من ذلك ما ساءه.

أولياء الله:

قال أبو عبد الله:

إن أولياء الله آثروا رضى الله عز وجل على هوى أنفسهم.

وإن كانت أهواؤهم محنة لهم، فأرغموا أنفسهم كثيرًا لرضاء ربهم، فأفلحوا وأنجحوا.

يا دواد:

قال أبو همام:

أوحى الله إلى داود - عليه السلام -:

ألا ترى إلى المنافق كيف يخادعني وأنا خادعه، يسبحني بطرف لسانه، وقلبه بعيد عني؟

يا داود:

قل للملأ من بني إسرائيل لا يدعوني والخطايا بين أضبانهم - بين أصلابهم، والضين الحضين أو ما بين الكاشح والإبط - ليلقوها ثم

يدعوني أستجيب لهم.

بئس العبد:

قال شميط بن عجلان:

بئس العبد: عبد خلق للعبادة فصدته الشهوات عن العبادة.

بئس العبد: عَبدٌ خلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة.

فزالت العاجلة وشقي بالعاقبة.

دار الحق ودار الغرور:

قال أبو عبد الله:

كل يوم تستوفى من رزقك، قد أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، ولا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، فكيف يستبين للعالم جهل من قد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغتر في طلب الزيادة؟

أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي عن الدنيا شهوته، ولا تنقضي فيها رغبته؟

فالعجب كل العجب! لمصدق بدار الحق، وهو يسعى لدار الغرور.

ثلاثة ضعفاء:

قال أبو همام:

يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره، وحملها على رأسه.

فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي.

فقالوا:

هذا أعلم بالله منا، لو لم يرَ في الدنيا خيرة ما فعل هذا.

فرغبوا في الدنيا وجمعوها.

فمثله كمثل الذي قال الله تعالى: {وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ} [سورة النحل الآية: ٢٥]. أوزار: آثام وذنوب.

الناس ثلاثة:

قال شميط بن عجلان:

الناس ثلاثة:

فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرَّب.

ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة، ثم راجع بتوبة، فهذا صاحب يمين.

ورجل ابتكر الشر في حداثته، ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا، فهو صاحب الشمال.

متى تهرب من النار؟

قال أبو همام:

إذا أصبحت آمنًا في سربك - السرب: النفس - معافًا في بدنك عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها.

إن المؤمن من يقول لنفسه:

إنَّما هي ثلاثة أيام، فقد مضى أمس بما فيه، وغدًا أمل لعلك تدركه، وإنَّما هو يومك هذا.

فإن كنت من أهل غد، فيسجيء رب غد برزق غد، وإن دون غد يومًا وليلة تخترم - تموت - فيه أنفس كثيرة، فلعلك المخترم - الميت - فيه.

كفى كل يوم همه ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور والأزمنة وهَمّ الغلاء والرخص وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء، وهمّ الصيف قبل أن يجيء، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة؟

ما تطلب الجنة بهذا؟

متى تهرب من النار؟

أي الرجلين أنت؟

قال شميط بن عجلان:

الناس رجلان:

فمتزود من الدنيا، ومتنعم فهيا، فانظر أي الرجلين أنت؟

إني أراك تحب طول البقاء في الدنيا، فلأي شيء تحبه؟

أن تطيع الله عز وجل وتحسن عبادته، وتتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

فطوبى لك.

أم لتأكل وتشرب وتلهو وتلعب وتجمع الدنيا وتثمرها وتنعم زوجتك وولدك؟

فلبئس ما أردت له البقاء.

المرآة:

قال أبو عبد الله:

إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة، فمرة ينظر إلى ما نعت - وصف الله تعالى المؤمنين -.

ومرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المغترين.

ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد - أعد - الله تعالى فيها.

ومرة ينظر إلى النار وما أعد الله عز وجل فيها.

تلقاه حزينًا كالسهم المرمى به شوقًا إلى ما شوقه الله تعالى إليه وهربًا مما خوفه الله عز وجل منه.

رحم الله عبدًا:

قال أبو عبد الله:

أيها المغتر بطول صحته: أما رأيت ميتًا قط من غير سقم؟

أيها المغتر بطول المهلة: أما رأيت مأخوذًا قط من غير عدة؟

أبالصحة تغترون؟ أم بطول العافية تمرحون؟

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك - حشدوا: جمعوا - أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد وغصص وندامة على التفريط؟

رحم الله عبدًا عمل ساعة الموت.

رحم الله عبدًا عمل بعد الموت.

رحم الله عبدًا نظرًا لنفسه قبل نزول الموت.

الحمد لله الذي اختار لي:

قال أبو همام:

تلقى - تجد - أحدهم عنده فضول - ما يزيد على حاجته من الطعام والشراب - يغلق بابه دون جاره وذوى رحمه، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وبما شرب، ولعل جاره الفقير وذا رحمه المحتاج يكون في القوم يسمع ما يقول:

- ويحك! ما كفاك أن أغلقت بابك دونه فلم تواسه ولم تذكره حتى قعدت فأخبرته بما أكلت وبما شربت؟

فإذا أنت جمعت إساءة بعد إساءة.

إن المؤمن من أبصر بالدنيا فأنزلها منزلتها، فإن هي أقبلت عليه قال:

- لا مرحبًا ولا أهلاً، والله ما أراك جئت بخير، وما فيك من خير، إلا أن تطلب بك الجنة، ويفتدى بك من النار.

فإن هي أدبرت عنه - أولته ظهرها - قال:

- الحمد لله الذي خار - اختار - لي وصرف عني فتنتك وشغلك.

هذا نظر من الله عز وجل لي:

قال شميط بن عجلان:

إن العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلايا، استبان - ظهر عندها - الرجلان:

فجاءت البلايا إلى المؤمن فأذهب ماله وخادمه ودابته حتى جاع بعد الشبع، ومشى بعد الركوب، وخدم نفسه بعد أن كان مخدومًا.

فصبر ورضى بقضاء الله عز وجل وقال:

- هذا نظر من الله عز وجل لي، هذا أهون لحسابي غدًا.

وجاءت البلايا إلى الفاجر فأذهبت ماله وخادمه ودابته، فجزع وهلع وقال:

- والله ما لي بهذا طاقة، والله لقد عودت نفسي عادة ما لي عنها صبر من الحلو والحامض والحار والبارد ولين العيش.

فإن أصابه من الحلال، وإلا طلبه من الحرام والظلم ليعود إليه ذلك العيش.

شميط بن عجلان وأحاديث المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

أسند شميط بن عجلان عن جماعة من التابعين، وهو قليل الرواية.

* حدثنا عبد الله بن جعفر عن يونس بن حبيب عن أبي داود عن عبيد الله بن شميط، عن أبيه عن أبي بكر عن أنس قال:

إن رسول الله ﷺ باع حلسًا - حلس البيت: كساء يُبسط من حر الثياب - وقد حار فيمن يزيد وقال:

من يشترى هذا؟ .

فقال رجلٌ:

بدرهم.

فقال رسول الله ﷺ :

من يزيد؟ (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

* وقال أبو بكر بن خلاد عن الحارث بن أبي سلمة، عن عبد الوهاب بن أبي عطاء عن أخضر بن عجلان - أخو شميط بن عجلان - عن أبي بكر الحنفى عن أنس بن مالك قال:

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ وشكى إليه الفاقة - الفقر -.

فأتي بحلس وقدح فقال عليه الصلاة والسلام:

من يأخذهما منى بدرهم؟ .

فقال رجل:

أنا آخذهما.

فقال عليه الصلاة والسلام:

من يزيد على هذا؟ .

فقال رجل:

أنا آخذهما بدرهمين.

فقال ﷺ :

هما لك (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك).

* يقول عبيد الله بن شميط: حدَّثنى أبى وعمى الأخضر عن عطاء بن زهير العامري عن أبيه قال:

قلت لعبد الله بن عمر:

ما تقول في الصدقة؟ أي مال هي؟

قال ابن عمر:

- شر مال إنَّما هي للعميان والعرجان والمنقطع بهم.

قلت:

- فأخبرني عن العاملين عليها والمجاهدين في سبيل الله عز وجل ما أحلَّ لهم؟

قال عبد الله بن عمر:

للعاملين عليها بقدر عمالتهم، وللمجاهدين في سبيل الله ما أحلّ لهم، إن الصدقة لا تحل لغنى ولا لذي مرة سوى - الرجل القوى -.

* قال عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن عبد الله بن المبارك عن الصديق بن حزن عن شميط بن عجلان قال:

حدث مؤذن بني كعب قال:

بينما أنا أسير في أرض فقراء؛ إذ أذنت فقال لي قائل من خلفي:

- نعم، ما أدبك الله؟

فالتفت إذا أبو برزة الأسلمي فقال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ما من عبد أذن في أرض قيٍّ - قفر القفر: الأرض القفر الخالية فتبقى - شجر ولا مدر ولا سراب ولا شيء إلا استجلاه البكاء لقلة ذاكر الله في ذلك المكان (رواه سمويه والديلمي وأبو نعيم في الحلية عن أبي برزة الأسلمى).

من أقوال شميط بن عجلان:

قال أبو همام:

* رأس مال المؤمن: دينه حيث ما زال معه، لا يخلفه في الرحال ولا يأمن عليه الرجال.

* بادروا بالصحة السقم، وبالفراغ الشغل، وبادروا بالحياة الموت.

* إن لله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك؟

* من رضى بالفسق فهو من أهله، ومن رضى أن يعصي الله عز وجل لم يرفع له عمل.

* وقالت امرأة شميط بن عجلان له:

- يا أبا همام: إنا نعمل الشيء فيبرد فنشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد؟

فقال أبو عبد الله:

- والله إن أبغض ساعاتي إلاَّ الساعة التي آكل فيها.

* من جعل الموت نصب عينيه، لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

* إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين به.

* إن المنافق عبد هواه وعبد بطنه، وعبد فرجه، وعبد جلده، وعبد الدنيا وعبد أهل الدنيا.

* وقال شميط بن عجلان في وصف المؤمنين:

أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقذهم - صرفهم بشدة - عن الباطل فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد وأنفقوا

الأموال التالد - المال القديم الأصل الذي ولد عندك والطارف - المال المستحدث وهو ضد التالد - في طلب ما يقربهم إلى الله عز وجل وفي طلب النجاة مما خوفهم به.

* إن المتقين أتاهم من الله أمر أقلقهم، فأكلوا على تبغض، وباتوا على تصون.

* إن المتقين هم الأكياس، أكلوا طيب رزق الله، وعاشوا في فضل نعيم الآخرة.

* إن المتقين أتاهم وعيد الله فناموا على خوف، وقاموا على وقار.

* ويصف شميط بن عجلان أهل الدنيا فيقول:

دائم البطنة - يأكل كثيرًا - قليل الفطنة، إنَّما همه بطنه وفرجه وجلده، ويقول:

متى أصبح فآكل وأشرب وألهو وألعب؟ ومتى أمسى فأنام؟

جيفة بالليل بطال بالنهار.

* صم عن الدنيا واجعل غاية إفطارك في الدنيا الموت.

* يا ابن آدم: الدنيا غداء وعشاء، فإن أخرت غداءك إلى عشائك أمسى ديوانك في ديوان الصائمين.

* دعا بعض الأمراء شميط بن عجلان إلى طعام، فاعتلّ عليه - ادَّعى المرض - ولم يأته فقيل له:

- كيف ترفض طعام الأمير؟

فقال أبو همام:

- فقد أكله أيسر من بذل ديني لهم - السلاطين -، ما ينبغي أن تكون بطن المؤمن أعز عليه من دينه.

* إن الدينار والدرهم أزمة المنافقين، بهما يقادون إلى السواءات.

* علامة المنافق قلة ذكر الله عز وجل.

* يا ابن آدم: إنك ما دمت ساكتًا فإنك سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك.

* نظر شميط بن عجلان إلى الناس يوم عيدهم في محشرهم ومجمعهم فقال:

هل ترى الأخرقة تبلى ولحمًا يأكله الدود غدًا؟

* أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام -:

إنك إذا استنقذت هالكًا من هلكته سميتك جهبذا.

* عجبًا لابن آدم، بينما قلبه في الآخرة، إذا حكه برغوث أو قملة فنسى الآخرة.

* رجلان معذبان في الدنيا: رجل أعطى الدنيا فهو معتوب فيها ومشغول بها، وفقير زويت عنه فنفسه تتقطع عليها حسرات.

* إني والله ما رأيت أبدانكم إلا مطايا إلى ربكم عز وجل، ألا فانضوها - أنضى بعيره: هزله - في طاعة الله يبارك الله فيكم.

* قد أفلح من جعل الله تعالى له عينين بصيرتين، ولسانًا فصيحًا، وقلبًا واعيًا يعي الخير ويعمل به.

* كان أبو همام يقول لجلسائه:

ساعة للدنيا، وساعة للآخرة، وقولوا في خلال الحديث: اللهم اغفر لنا.

من دعاء شميط بن عجلان:

* كان أبو عبيد الله يدعو فيقول:

اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا، كما يكفي الكثير أهله.

اللهم ارفع رغبتنا إليك واقطع رجاءنا ممن سواك.

اللهم اجعل طاعتك ألذ عندنا من الطعام عند الجوع ومن الشراب عند الظمأ.

اللهم اجعل غفلة الناس لنا ذكرًا ومرح الناس لنا شكرًا.

اللهم إذا تنعم المتنعمون بالدنيا فاجعلنا نتنعم بذكرك.

اللهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا.

* * *